[اَلثَّمَرَاتُ السُّلُوكِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ لِلْحج]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ عَلَى جَزِيلِ آلَائِهِ وَجَمِيلِ إِحْسَانِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ بِمِلْءِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيلُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَقُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِ تَتَوَالَى، وَعَلَى آلِهِ ذَوِي الْقُرْبَى، وَصَحَابَتِهِ أُولِي الْهُدَى وَالتُّقَى، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى.اتْقُو اللهَ القَائل[الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ]

أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْـمُؤْمِنُونَ

فَإِنَّ الْغَايَةَ مِنْ فَرِيضَةِ الْحَجِّ وَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْـمَقَاصِدِ وَالْآدَابِ هُوَ: التَّحَلِّي بِأَسْرَارِهَا وَالتَّجَلِّي فِي ثَمَرَاتِهَا السُّلُوكِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ؛ فِيمَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَفِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ؛ وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْحَجِّ فِي السُّلُوكِ:

أَوَّلًا: تَعْوِيدُ الْـمُؤْمِنِ عَلَى التَّسْلِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ؛ وَذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ امْتِثَالُ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ؛ مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَالْوُقُوفِ بِالْـمَشَاعِرِ الْعِظَامِ فِي أَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ بِلَا تَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الاَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ الْـمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْـمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾؛ فَمَنَاسِكُ الْحَجِّ تَدْعُو إِلَى التَّسْلِيمِ لِلَّهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحُكْمِهِ وَشَرْعِهِ، وَعَدَمِ مُعَارَضَةِ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ، وَالْخُضُوعِ لَهُ تَعَالَى؛ وَهِيَ مَعَانِي التَّوْحِيدِ.

ثَانِياً: اَلصَّبْرِ وَتَحَمُّلِ الْـمَتَاعِبِ وَالْـمَصَاعِبِ؛ فَفِي الْحَجِّ يَتَعَرَّضُ الْـمُؤْمِنُ لِاخْتِبَارٍ كَبِيرٍ فِي خُلُقِ الصَّبْرِ وَتَحَمُّلِ الْآخَرِينَ؛ فِي السَّفَرِ وَالْـمَسْكَنِ وَالْـمَنَاسِكِ، وَالْـمُعَامَلَاتِ مَعَ أَجْنَاسٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ؛ مِمَّا يُجَلِّي مَعَادِنَ النَّاسِ وَجَوَاهِرَ أَسْرَارِهِمْ، وَمَكَامِنَ بَوَاطِنِهِمْ.

ثَالِثاً: اَلتَّجَرُّدُ الْـمُرَبِّي عَلَى التَّسَامُحِ وَالْإِيثَارِ، وَتَخْلِيَةِ النَّفْسِ مِنَ الْأَنَانِيَّةِ وَالْأَثَرَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ؛ فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ؛ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ،

وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟). فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَحَرَّى النَّبِيُّ ﷺ، أَيَّامَ مِنَى الَّتِي يَسْتَوِي فِيهَا النَّاسُ فِي لِبَاسٍ وَاحِدٍ وَحَالٍ وَاحِدَةٍ؛ مِنْ حَيْثُ الْإِقَامَةُ وَالْعَيْشُ فِي جَوٍّ رَبَّانِيٍّ بَعِيدٍ عَنْ مَظَاهِرِ الِاخْتِلَافِ، مُتَّسِمٍ بِكُلِّ مَظَاهِرِ الِائْتِلَافِ؛ لِيُبَلِّغَ لَهُمْ أَنَّهُمْ جَمِيعًا سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ؛ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى الْآخَرِ إِلَّا بِالتَّقْوَى، وَبِمَا وَقَرَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ.

رَابِعاً: اَلتَّعَوُّدُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِهَا، فَالْمَشَقَّةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ مَقْصُودَةٌ لِغَايَاتٍ، دَالَّةٌ عَلَى بَرَاهِينَ وَآيَاتٍ، فَمَا عَلَى الْحَاجِّ إِلَّا أَنْ يُبَرْهِنَ عَلَى تَمَامِ صَبْرِهِ وَحِلْمِهِ، وَيَسْتَعِينَ عَلَى ذَلِكَ بِحَمْدِ اللهِ وَذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾. وَالْمَشْعَرُ الْحَرَامُ هُوَ مُزْدَلِفَةُ؛ وَهِيَ فِي لَيْلَةِ الْعِيدِ بِالْحُجَّاجِ مُزْدَحِمَةٌ، وَرَحْمَةُ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ الذَّاكِرِينَ مُتَجَلِّيَةٌ.

عِبَادَ اللهِ؛ هَذِهِ بَعْضُ الثَّمَرَاتِ السُّلُوكِيَّةِ الَّتِي يَسْتَفِيدُهَا الْحُجَّاجُ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، وَتَتَلَخَّصُ فِي الْخُضُوعِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالتَّسْلِيمِ لَهُ، وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ وَتَزْكِيَتِهَا، وَمُعَاشَرَةِ النَّاسِ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ؛ وَهِيَ خِصَالٌ يَجْدُرُ بِالْمُسْلِمِ التَّخَلُّقُ بِهَا فِي سَائِرِ أَيَّامِهِ؛ حَتَّى يَعِيشَ بِهَا حَيَاةً طَيِّبَةً فِي نَفْسِهِ وَمُحِيطِهِ، وَيَلْقَى اللهَ تَعَالَى نَقِيًّا كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِقُرْآنِهِ الْمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَغَفَرَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ، اَلْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ مِسْكِ الْخِتَامِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ بُدُورِ التَّمَامِ، وَصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ مَصَابِيحِ الدُّجَى، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَهُمْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

عِبَادَ اللهِ؛ إِذَا عَلِمْنَا ثَمَرَاتِ الْحَجِّ الْخُلُقِيَّةَ وَالسُّلُوكِيَّةَ وَأَهَمِّيَّتَهَا فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ؛ فَإِنَّ الثَّمَرَاتِ الْعَمَلِيَّةَ الَّتِي يَسْتَفِيدُهَا الْحَاجُّ وَغَيْرُ الْحَاجِّ لَا تَقِلُّ أَهَمِّيَّةً عَنْهَا؛ وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا نُلَخِّصُهَا فِيمَا يَلِي:

أَوَّلًا: مُلَازَمَةُ الذِّكْرِ؛ بِاعْتِبَارِ الْمَوْسِمِ مَوْسِمَ الذِّكْرِ بِامْتِيَازٍ؛ مِنَ الدُّخُولِ فِي النُّسُكِ بِالتَّلْبِيَةِ وَالذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ فِي الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ، وَفِي عَرَفَاتٍ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، وَأَيَّامِ مِنَى إِلَى عَوْدَتِهِ إِلَى بِلَادِهِ؛ كُلُّهَا أَيَّامُ ذِكْرٍ وَسَاعَاتُهُ، وَأَحْوَالُ الدُّعَاءِ وَسَاحَاتُهُ؛ فَمَا تَنْتَهِي حَتَّى يَكُونَ لِسَانُ الْمُؤْمِنِ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ، وَيَعُودَ مُلَازِمًا لِذِكْرِ اللهِ وَشُكْرِهِ، لَهِجًا بِحَمْدِهِ وَتَسْبِيحِهِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ، دَائِمَ الْيَقَظَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ؛ وَهُوَ الْحَالُ الْمَطْلُوبُ مِنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ لِفَضْلِ الزَّمَانِ؛ وَإِنْ لَمْ يُدْرِكُواْ الْمَكَانَ.

ثَانِياً: اَلْـمُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْجَمَاعَةِ؛ إِذْ مِمَّا يَحْرِصُ عَلَيْهِ الْحُجَّاجُ: اَلصَّلَوَاتُ فِي الْـمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَا اسْتَطَاعُواْ؛ لِـمَا وَرَدَ فِي فَضْلِهَا مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ: (فَضْلُ الصَّلَاةِ فِي الْـمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِي أَلْفُ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْـمَقْدِسِ خَمْسُمِائَةِ صَلَاةٍ). وَإِذَا أَلِفَ الْـمُسْلِمُ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ وَالْـمُحَافِظَةَ عَلَيْهَا سَهُلَ عَلَيْهِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا بَعْدَ الْحَجِّ؛ لَا سِيَّمَا وَالْفَضْلُ مَعَ الشُّغْلِ قَدْ يَكُونُ أَعْظَمَ؛ لِـمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ: (اَلصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ).

ثَالِثاً: اَلرُّفْقَةُ الصَّالِحَةُ وَالذِّكْرُ الْجَمِيلُ؛ فَمِمَّا يَسْتَفِيدُهُ الْحَاجُّ مِنْ رِحْلَةِ الْحَجِّ: اَلرُّفْقَةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي تُرَغِّبُهُ فِي الْخَيْرِ وَتُعِينُهُ عَلَيْهِ؛ فَيَبْقَى أَثَرُ هَذِهِ الرُّفْقَةِ فِي نَفْسِهِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ.

رَابِعاً: اَلْـمُعَاشَرَةُ الْحَسَنَةُ وَالتَّسَامُحُ وَالصِّدْقُ فِي الْـمُعَامَلَةِ؛ وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ مَكَاسِبِ الْحَجِّ وَفَوَائِدِهِ الْغَالِيَةِ، وَهِيَ مِعْيَارُ النَّجَاحِ أَوِ الرُّسُوبِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الِاخْتِبَارَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْـمَوَاسِمِ الرُّوحِيَّةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الثَّمَرَاتِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ حَصْرُهَا فِي خُطْبَةٍ أَوْ خُطَبٍ؛ وَإِنَّمَا الْـمُرَادُ التَّنْبِيهُ عَلَى مَا يَنْبَغِي الْحِرْصُ عَلَيْهِ؛ مِنْ مَكَاسِبَ إِيمَانِيَّةٍ أَوْ خُلُقِيَّةٍ أَوْ عَمَلِيَّةٍ يَسْتَفِيدُهَا الْـمُؤْمِنُ مِنْ رِحْلَةٍ أَنْفَقَ فِيهَا الْـمَالَ وَالْوَقْتَ وَالْجُهْدَ، وَفَارَقَ فِيهَا الْوَطَنَ وَالْأَهْلَ وَالْوَلَدَ.

أَلَا فَاتَّقُواْ اللهَ – عِبَادَ اللهَ -، وَصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِكَ، صَلَاةً وَسَلَامًا تُوَازِي حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الْعَشَرَةِ الْـمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَعَنْ آلِ بَيْتِهِ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْـمُؤْمِنِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ؛ وَانْصُرِ اللَّهُمَّ بِنَصْرِكَ الْعَظِيمِ، وَبِعِزِّ سُلْطَانِكَ الْقَدِيمِ،ولِيَّ أَمْرِنا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَرِيْفَيْنِ، نَصْرًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْـمُسْلِمِينَ، اَللَّهُمَّ احْفَظْهُ بِكِتَابِكَ، وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ أَرِدِيَةَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، مَشْمُولًا بِسِرِّ أَلْطَافِكَ الْخَفِيَّةِ، اَللَّهُمَّ أَقِرَّ عَيْنَه بِوَلِيِّ عَهْدِهِ، وَشُدَّ أَزْرَهُ بالوُزَارءْ، اَللَّهُمَّ ارْحَمْنَا، وَارْحَمْ وَالِدِينَا، وَارْحَمْ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْـمُسْلِمِينَ، وَاشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَى الْـمُسْلِمِينَ، وَعَافِ مُبْتَلَانَا وَمُبْتَلَى الْـمُسْلِمِينَ، اَللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَ الْحُجَّاجِ حَجَّهُمْ، وَبَلِّغْهُمْ وَإِيَّانَا مِمَّا يُرْضِيكَ آمَالَنَا، وَاخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا، وَبِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا، إِنَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ، اَللَّهمَّ سَلِّمْ الحُجَاجَ فِي بَرِكَ وبَحْرِكَ وجَوكَ يَاربَ العَالمينَ، اَللَّهمَ رُدَهمْ إلى أهْلِيهِمْ سَالمينَ فِي الأَبْدَانِ غَانِمينَ اَلْحسَناتِ،اللَّهُمَّ زِدْ فِي إِيمَانِ الْحَاضِرِينَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَارْزُقْهُمْ بَرَكَةً فِي الْعُمْرِ ،

وَصِحَّةً فِي الْجَسَدِ ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ ، وَتَوْبَةً قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَشَهَادَةً عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَمَغْفِرَةً بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَعَفْوًا عِنْدَ الْحِسَابِ ، وَأَمَانًا مِنْ الْعَذَابِ ، وَنَصِيبًا مِنْ الْجَنَّةِ ، وَارْزُقْهُمْ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ،رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.